

خيوط المعاذيب.. استعادة ذاكرة «أحساء» الستينيات.

مسلسل (خيوط المعاذيب) عمل درامي رمضانى محلى اعتمد في لغته على اللهجة الأحسائية الشفاهية المحكية، فأثار كثيراً من الجدل، واستقطب شرائح عدّة من المجتمع ولا سيما كبار السن، حيث تناول حقبة الستينيات الميلادية من خلال تاريخ صناعة (البشت الحساوى)، التي تسيّدت المساحة الاجتماعي والاقتصادي في تلك الحقبة، ليختزل (خيوط المعاذيب) قضايا اجتماعية عديدة وتعالقات وتجاذبات عدّة، مع الاتكاء على نقل عادات المجتمع الأحسائي من خلال الأفكار والرسالة واللهجة والأدوار، ومن خلال نقل الثقافة والتراص الأحسائي للعالم بشكل لائق، جسدها فنانون محترفون، وشباب تحرفنوا في أدائهم الأول ليبشروا بطاقة فنية درامية قادمة بقوة.

أعدت (مجلة اليمامة) هذا التقرير عن قصة المسلسل وفكرةه و بداياته وشخصياته التي جسدها الممثلون، والصعوبات والمعوقات والاستعدادات وأماكن التصوير وردات الفعل المختلفة حوله.

يقول الفنان إبراهيم الحساوى: «تلقيت ردود فعل كثيرة عن المسلسل، وتفوق على كل الأعمال التي قدّمتها، كانت الردود لهذا المسلسل مختلفة وقد وصلتني من شرائح واسعة من أدباء و مخرجين وفنانين ومثقفين من داخل المملكة وخارجها من دول الخليج العربي ومصر والعراق وكانت ردود الفعل جميلة، وحتى على مستوى وسائل التواصل الاجتماعى كان هناك تغريدات من كبار المثقفين والنقاد مما أعطانا انطباعا بنجاح فريق العمل في إنتاج عمل يلامس ردود الأفعال.

الممثل إبراهيم الحساوى:

هذا العمل هو حلم العمر وهناك أعمال أدبية قد تحول إلى أعمال تلفزيونية.

ويتابع الحساوى «اعتبرت المسلسل منذ بداية تنفيذ العمل حلم العمر، وبذلت وفريق العمل جهودا كبيرة حتى يكون العمل مؤثر، عمل يليق بتاريخ وحرف وحضارة الاحساء بما فيها من رمزية كبيرة على مستوى المملكة، ولم يضعف حرصنا من بداية إنتاج العمل»

وبسؤاله إن كان هناك مشروع يلوح في الأفق لتحويل روايات أدبية وأعمال قصصية لأعمال تلفزيونية سواء لكتاب من الاحساء، أو من المملكة قال «لم أطلع على كل ما كتب من أعمال سردية عن الاحساء، ولكن قرأت بعض الأعمال مثل رواية (الفوارس)، وهي قابلة أن تكون عمل درامي أو سينمائى طويل، وقرأت بعض المجموعات القصصية لزهراء موسى مثل (مجنون الجبل)، وقصة (طويهر) لجعفر عمران، وعلى مكتبى (دموعة هجر) لحسين الأمير، وأسامي المسلم وإن كانت فنتازية، وقرأت أعمالا صدرت لكتاب من الاحساء مثل ناصر الجسم، طاهر الزارعي، أحمد العليو، بشائر محمد....عندهم قصص مناسبة لتحويلها إلى مسرحية، أو أعمال درامية، وقابلة لتكون أعمال تلفزيونية أو سينمائية، ومسلسلات لكن تحويل الأعمال الأدبية إلى

تلفزيونية يحتاج إلى ورش كتابية، وتحويلها لسيناريو، ويتابع الحساوي لدينا توجه لتحويل بعض القصص إلى المسرح، ويضيف أما على مستوى المملكة فهناك روايات سعودية قابلة للتحويل إلى أعمال سينمائية يحضرني حالياً رواية (الحزام) لأحمد أبو دهمان قرأتها أكثر من مرة، وروايات عبده حال وقصته (البلوزة)، ومن الروايات أيضاً (البحريات) لأميمة الخميس، ورواية سالمه الموسى، وهناك روايات سعودية كثيرة قابلة ل تكون أفلام ويقول الحساوي «أعتقد أن وزارة الثقافة لديهم مثل هذا المشروع لتحويل بعض الروايات لأفلام سينمائية، ويتابع تستطيع أن تقول هذه معلومة، ولست مخولاً للخصوص في التفاصيل فهناك تحطيط وأهداف لإنتاج مثل هذه الروايات لتحويلها لأفلام».

أما كاتب العمل حسن العبدى فيقول حول ردود الأفعال عن المسلسل «بعد عرض الحلقات الأولى كانت إيجابية، وبكسوها السعادة والفرح والابتهاج من المتبعين في الأحساء، فأغلب الردود كانت لها مؤشرات أن المجتمع متبع ومرتاح بجميع فئاته الكبير والصغير، ونجح المسلسل في جمع العوائل الأحسائية على ما ناده الإفطار لمشاهدته في الهافو والمبرز والقرى، وقدم انطباعاً عن قدرات الفنانين واللوكيشنات، والمناظر الخلابة في الأحساء، والبيوت التي أعادت للمجتمع ذاكرته في تلك الحقبة».

المؤلف حسن العبدى:

هذا العمل يجسد قصة حيّاتي ومجتمعي وأرضي.

وبسؤال العبدى حول المقارنة بين نصه المكتوب، ومشاهدته خلف الشاشة للعمل قال «المقارنة بين ما كتبته، وما شاهدته كانت مبهرة جداً، فحينما تكتب وتشاهد ما كتبته بعينك قد تتحقق على الواقع هذا أسعدي ككاتب أحب أن يظهر العمل الذي يحلم به عند الناس، ويتابع العبدى «هذا العمل مختلف عن أعمالى السابقة مثل (أسود وأبيض) لأن هذا العمل شعرت إنه يحكى قصة حيّاتي وقصة مجتمعي، وقصة أرضي، وعشت الأحداث في طفولتي، وشاهدت شريط طفولتي يعرض أمامي بعد هذا العمر الطويل -في الثمانين من عمري -ويتابع يعیدنى العمل لذكريات طفولتي حينما كنت في سن الثامنة شيع مبهر جداً، وعن الصعوبات التي واجهته في تنفيذ المسلسل يقول العبدى «أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتها هو تعلم اللهجة القديمة للشباب الصغار الذين لم يسمعواها من قبل، وبعض المصطلحات التي لم تمر عليهم، ولا حتى على آبائهم، ويضيف «كانت الصعوبة في تدريب الفنانين الشباب على اللهجة واتقانها، وتحديد مسافة الكلمة عندما ينطقوها، ومدى قبولها عند المتلقي، ويتابع «وواجهت أيضاً صعوبة في التدقيق على اللوكيشنات، حتى لا يظهر مشهد أمام المشاهد غير موجود في حقبة الستينيات من صور أو فرش أو ملابس أتعبني هذا الجانب للتأكد من التفاصيل الصغيرة، وكنت أدق حتى في طريقة لبس السديري والعقال والبشت لأنني عشت، وشاهدت كل هذه التفاصيل «ويتابع «الصعوبات كانت مع الشباب أما الكبار كان الوضع أسهل فالألطال كانوا رائعين، أدهشني الفنان عبد المحسن النمر رغم غيابه عن الأحساء كان محافظاً على اللهجة وأتقنها تماماً رغم إقامته خارجها، واختياره للملابس بما ينسجم مع كل لوكيشن وكان يختار لباساً معيناً يتاسب معه، وكاريزما واكسسوارات وملابس تناسبه، وبسؤاله بعد مؤشرات

النجاح الأولية للعمل هل سيقدمون أعمالاً مستقبلية قال «بعد هذا النجاح الكبير بجهود جبارة من جميع طاقم العمل يجعلنا نفكر في عمل موسم آخر من مسلسل (خيوط المعاذيب) عندنا الأفكار والسيناريوهات التي تليق بالموسم الأول لكن لا نستطيع الحديث عن عمل جديد حتى يتم التعميد الرسمي للإقدام على كتابة سيناريو الموسم القادم، ولا نستبق الأمرو، ويضيف «أتمنى يكون هناك موسم ثاني للكتابة عن الجيل الثالث، وأتوقع أننا نستطيع تقديم الكثير، فالمعاذيب كثیر، ويوجد في (شارع الحدادين) وفي الاحسأ عشرات المعاذيب (معزب للحدادة، ومعزب للصفارة، ومعزب خبا بيز، ومعزب نجاجير،، وصاغة الذهب فيهم معاذيب لأن الاحسأ تعتمد على الحرف وكل معزب له حكاية مع صبيانه) ويقدم في الختام شكره وتقديره لجهود طاقم العمل على تحمل الأجواء، والظروف المناخية، وتكرار إعادة المشهد ليصل للصورة المطلوبة.

محمد العباس:

شخصية جاسم قتلت إبداع إبراهيم الحساوي.

ومن جانبه اعتبر الناقد محمد العباس أن شخصية جاسم في مسلسل خيوط المعاذيب كُتبت بسطحية و مباشرة -وكما يرى- أن هناك افتعال لبعض الواقع المصاحبة لها أريد بها تحريك سكونية المسلسل فهي بلا وظيفة درامية ويضيف «إنها شخصية رومانسية مصدعة لكي لا أقول زائفه، لدرجة أنها لم تكن مناسبة لعمر وإمكانيات فنان بقامة إبراهيم الحساوي وباختصار هذه الشخصية المجوفة قتلت إبداع إبراهيم الحساوي»

وبناءً على العباس قائلاً: أرى أن كل الشخصيات ملتزمة بشرط اللحظة والحاضن المكاني الذي يحتويها وبجواهر حضورها، ما عدا شخصية جاسم (إبراهيم الحساوي) فهي تتحرك في المسلسل من دون ارتباط بمنطق الأحداث وخط سير السرد للمسلسل. حيث بدأ كحائط، ثم تحول بسرعة خاطفة إلى خراف، شاعر ودرويش، ثم عاد كمفكر تنويري يروج للقراءة. وقد أستوعب فكرة قراءته لكتاب توفيق الحكيم والمنفلوطي، ولكن عندما لوح بكتاب (مقدمة ابن خلدون) ومرره لطالب في الثانوية شعرت بأن مصمم شخصيته قد بالغ في رسم معالمها، وكأنه أسبغ على جاسم دور المفكر. وأعتقد أن كتابة شخصيته تجاوزت كل الحدود الواقعية عندما قرر أن يصف مجموعة من الكتب للقراءة في روازن القهوة. نعم القهوة التي يرتادها في الغالب مجموعة من الأميين البسطاء، الذين يجدون في القهوة محطة ترفيهية لشرب التعميرة ولعب الكيرم والضومنة وسماع الأغانى وربما مشاهدة التلفزيون. هذا بالإضافة إلى كون الكتاب في تلك الفترة من المحرمات السياسية والاجتماعية، لأن القراء آنذاك هم من المؤدلجين سياسياً من الماركسيين والقوميين، كما كانت الكتب على المستوى الاجتماعي سبباً لخراب العقول. وربما أكون مخطئاً في هذا التأويل، فقد تكون في الاحسأ بالفعل قهوة تحتوي على الكتب. والأهم بتصوري أن شخصية جاسم قد ظهرت بها كثيراً على مستوى الكتابة، ولذلك ظهرت بذلك التشتت والانفصال عن الواقع.

وبناءً على العباس «بالمقابل تبدو شخصية المعزب (أبو عيسى) مكتوبة بعمق ودرأية. بل مقدودة من المكان

الذى تولدت فيه فصارت شديدة الشبه به. حيث حُقنت بمعجمى اللهجة الأحسائية ومصطلحات مهنة حياكة البشرة. وبالتالي «ينطبق عليها من الوجهة الفنية مفهوم الشخصية الجاذبة بما تختزنه من كيمياً بالخداع والمراؤغة، وكأنها مفصلة بمقاس وقدرات الفنان عبد المحسن النمر» يقول الشاعر والكاتب على النحوى سلسل خيوط المعازيب «عمل درامي جاد ورصين سبّع الأحساء في منطقة التحول الدرامي السعودى، كل شيء في المسلسل يذل جهد كبير فيه ليكتمل العمل، ولن يكون بم مستوى طموح القائمين عليه، ابتداء من كتابة النص وليس انتهاء باللهجة والمبنى والسلوك والطبع الأحسائية .

في المسلسل ممثلون مخضرون أعطوا للعمل قيمة فنية، ومواهب صاعدة أثبتت قدرتها على الصعود . أحبي الممثلات الأحسائيات خاصة اللاتي لم يلتقطن لما سيقال واللاتي سيشاركن في صنع تحول اجتماعي جديد عبر أداء ثقافية مؤثرة ويضيف «أتمنى أن يكون الحوار والنقد البناء حول هورشة عمل تفيد هذا العمل الدرامي الجريء والفخم، وتقديم رؤى وقراءات تساعد على النهوض بهذا الجانب الحيوي المهم الذي تعامل المملكة على تطويره، كما يجب الاعتزاز به والافتخار بفريق العمل . هذا المسلسل سجل للأحساء إنجازاً جديداً وهي المنطقة المعروفة بالغنّي الإبداعي والمعرفي والفكري» .
هناه العمير :

المؤلف شاهد حي على حقبة العمل الزمنية .
تقول المخرجة هنا العمير «أنا جذوري وطفولتي كانت من الأحساء، وعلى اطلاع بتفاصيل البيئة الأحسائية وإن كنت أقيم خارجها بسبب ظروف العمل».

وتضيف «سعدت بردود الفعل من نقاد ومشاهدين وأطلع لانتهاء العمل، ومعرفة ردود الفعل الحقيقية وهناك جهود كبيرة بذلك فيه، حينما تكتمل القصة بعد انتهاء العمل ستتصفح الصورة وتتابع العمير «كان من المهم جداً أن يكون هناك متابعة دقيقة للعمل، وتم إيكال ذلك للأستاذ حسن العبدى بحكم معايشته، وهو شاهد حي على تلك الحقيقة التاريخية في الأحساء، وكانت عنده تجربة شخصية في العمل، واستوحى القصة من أحداث حقيقة فوجوده كان مهما، ليصبح المرجع لكل التفاصيل في تلك الحقبة وتتابع العمير «صحيح أنا ابنة الأحساء، وأعرفها بشكل دقيق، ولكن الحقبة الزمنية لها تفاصيل خاصة، لذا من المهم أن يكون هناك شخص عايش كل التفاصيل للإشراف عليها، والتدقيق على الملابس والаксسوارات، والتفاصيل الصغيرة داخل البيوت إلى جانب عمل ورشة للنص مع الدكتور محمد البشير للتأكد من السيناريوهات إنها من صميم بيئه العمل» .

لبنى بو خمسين:
أعجبت بشخصية أم أحمد التي حررت الأطفال من سخرة المعزب .
وتقول الفنانة لبنى بوخمسين التي لعبت دور أم احمد وهي أول فنانة احسائية تطل عبر الشاشة حول الأداء وردود فعل المجتمع .

«أحببت شخصة -أم أحمد-، فقد كانت متعددة المواقف، وكثيرة المتغيرات، وقدمت الكثير للمجتمع. وكانت هناك شخصية حقيقة في الأحساء لها أثر في المجتمع، وهي شخصية عصامية ودعمت الأطفال في فترة من الزمن، وغيّرت محور الخيطة من الأطفال إلى النساء اللواتي أخذن يعملن في خيطة البشوت بدلاً من الأطفال الذين يجب أن يذهبوا للمدرسة، وهكذا كان لها يد في تغيير المجتمع الأحسائي من حولها. ولذلك أعجبت بالقضية التي تبنتها (أم أحمد) بسبب وفاة ولدها والتنمر الذي واجهه، وكان هذا حافزاً لها لإنقاذ الأطفال من السيطرة والتسخير الذي يمارس ضدهم. وقد كانت السخرة منتشرة في الأحساء وهي تسخّر الطفل للمعزب فترة التعاقد.

وتصنيف « تعد هذه أول تجربة درامية تلفزيونية لأن خبرتي السابقة كانت مسرحية، وقد درست فن الدراما أكاديمياً منذ سبعة عشر عاماً في فترة دراستي بأمريكا، ودرست فن المسرح في الكويت والسعوية، فكانت التجربة جداً جميلة وممتعة لأبعد الحدود، وقد تخللتها الصعوبات والمعوقات، ولكن من يشكل له الأمر هاجساً وحباً فسوف يضحي ويستمتع به» وتتابع بخمسين «أنا عشت الدور حيث أني تشربت الدور مما سمعته، وأبصرته من كبار السن، وقد نبشت الذاكرة واستخرجت ما بداخلها من قصص وذكريات، ومسموعات ومقروءات، واحتزتها في هذه الشخصية، ولم يكن من الصعب علي تقمص هذه الشخصية لأنها جزء مني، فلم أتقمصها بل استحضرتها، وقد عشتها مع كبار السن في هذا الزمن، وأنا أحفظ تفاصيلهن فكان من السهل علي إطلاق العنوان لهذه الشخصية والسماح لها بالخروج من داخلي، وتتابع «عائلتي كانت سباقة وكانت أنا المبادرة الأولى في التمثيل التلفزيوني، ولدينا في العائلة نخب ظهرت، وبرزت وأنتجت وتم تكريمهما وكل هؤلاء حصلت منهم على الدعم والقبول وتوجيه الفتاة للوصول إلى الشيء الذي تهواه ما دامت تسير في الطريق الصحيح، وكان استحسان الناس عجيباً ومستوى الإعجاب والقبول والفخر الذي أعيش حالياً، ولم أكن أتوقع أن أرى هذه النتيجة من الحلقة الأولى ومن الظهور الأول من الكبار قبل الصغار،خصوصاً الكبار الذين عادة ما يقاومون التغيير ولكن نسبة إعجاب الجماهير الأكثر من كبار السن، أما نسبة المعارضين لظهورها على الشاشة بسيطة، ولم أكن أهتم لهم ولدي عزيمة وإصرار وصمود عجيب لمواصلة طريقي والتركيز على هدفي، وهو إظهار المرأة الأحسائية بكل جمالها وقوتها وحريتها للتعبير عن نفسها وأن لديها مساحة لتنطلق وتنجح حتى في مجال التمثيل»

كاظم الخليفة:

العمل جسد علاقة الحب بين الأنامل وقطعة القماش.

ويشارك الأديب والناقد كاظم الخليفة «البدايات المشوقة والمبهرة للمسلسل يجعل من تأجيل الحكم عليه نوعاً من التنطع والتسويف. فيكتفي أنه حشد رموز الفن الأحسائي في مشاهده؛ سواء الممثلين أو كتاب النص الدرامي - الفنان حسن العبدلي -، وكذلك كتاب السيناريو. ومن دلائل نجاحه، أن جمهور المتابعين، وخصوصاً من عايشوا جزءاً من تلك الفترة، أصبحوا «نقاداً» انتباعيين «بالمعنى الإيجابي». أي أنهم، ومن فرط حماسهم يستدركون وبصيغون، أو يودون حذف بعض اللقطات أو المشاهد. كل ذلك دليل على أن

العمل بمجمله قد استحضر الماضي بشكل دقيق ومقنع.

هذا بشكل عام، أما ما أتمناه على هذا العمل، هو تركيزه على جماليات موضوعه الأساسي والمتمثل في «البشت»؛ كلون جمالي وفني يرع فيه «المُخَيْط» الأحسائي وعبر عن إحساسه وذوقه. ومن هذا نجد أن بعض الفنانين التشكيليين في الأحساء، كانوا يمارسون مهنة الخياطة في بداية حياتهم، وقبل أن يهجروا المهنة ويتجهوا إلى الرسم»

لذا، أتمنى من أعماقي أن يبرز هذا المسلسل طبيعة النزعة الحميمية والعشق بين تلك الأنامل التي خاطت، وقطعة القماش التي تشكلت كلوجة فنية باذخة الجمال وأطلق عليها «بشتاً». ويضيف «وأخيراً، وكلون من استشراف المستقبل، أرى أن هذا المسلسل سينتقل من حقل الدراما إلى «الوثائقية»، ويصبح مادة ناطقة عن حقبة زمنية بجميع مظاهرها الاجتماعية والاقتصادية في الأحساء».

مبارك الحالدي: الاستثمار العاطفي حول المسلسل في أعلى حالاته.

الدكتور مبارك الحالدي يقول «من يبني ملاحظة نقدية على «خيوط المعاذيب»، سيقال له إن المسلسل في حلقاته المبكرة، ونقده سابق لأوانه، ويفترض أن ينتظر حتى ينتهي المسلسل. لا يقال الكلام نفسه لمن يدندن ويفغى بمدح المسلسل، واضح أن الاستثمار العاطفي في المسلسل في أعلى درجاته، وأن المسافة الجمالية بينه، والكثير من مشاهديه قصيرة جداً أو حتى (صفر)»